

إذا الشعب يوماً أراد الحياة

إذا الشعب يوماً أراد الحياة  
ولا بدَّ لليل أن ينجلي  
ومن لم يعانقه شوق الحياة  
فويل لمن لم تشقه الحيا  
كذلك قالت لي الكائناتُ

ودمدت الرِّيحُ بين الفجاج  
إذا ما طمحتُ إلى غايةٍ  
ولم أتجَنَّبْ وِعورَ الشَّعابِ  
ومن لا يحبُّ صعودَ الجبال  
فعمَّجتْ بقلبي دمَاءُ الشباب  
وأطرقتُ، أصغي لقصفِ الرعودِ  
وفوق الجبال وتحت الشجرِ:  
ركبتُ المنى، ونسيت الحذرُ  
ولا كُتِبَ اللّهَبُ المستعرُ  
يعش أبداً الدهر بين الحفرُ  
وضجَّتْ بصدري رياحٌ أحرُ ...  
وعزفَ الرياحِ، ووقع المطرُ

وقالت لي الأرضُ - لما سألتُ:  
أبارك في الناس أهلَ الطموح  
وألعنُ من لا يماشى الزمانُ  
هو الكونُ حيٌّ، يحبُّ الحياة  
فلا الأفق يحضنُ ميتَ الطيورِ  
ولولا أمومةُ قلبي الرؤوم  
فويل لمن لم تشقه الحيا

وفي ليلة من ليالي الخريف  
سكرتُ بها من ضياءِ النجوم  
سألتُ الدُّجى: هل تُعيد الحياة،  
فلم تتكلمْ شفاه الظلام  
وقال لي الغابُ في رقةٍ  
مثقَّلةٍ بالأسى، والضجرُ  
وغنَّيتُ للحُزنِ حتى سكرُ  
لما أذبلته، ربيعَ العمرِ؛  
ولم تترنَّمْ عذارى السَّحرِ  
مُحَبِّبَةً مثلي خفق الوترُ:

شتاء الثلوج، شتاء المطر  
وسحر الزهور، وسحر الثمر  
وسحر المروج، الشهي، العطر  
وأزهار عهد حبيب نصر  
ويدفنها السيل، أتى عبر  
تألق في مهجة واندثر  
ذخيرة عمير جميل، غبر  
وأشباح دنيا، تلاشت زمر  
وتحت الثلوج، وتحت المدر -  
وقلب الربيع الشذي الخضر  
وعطر الزهور، وطعم الثمر

وتذوي صروف، وتحيا آخر  
موشحة بغموض السحر  
وسحر المساء؟ وضوء القمر؟  
ونحل يغني، وغيم يمر؟  
وأين الحياة التي أنتظر؟  
ظمت إلى الظل تحت الشجر!  
يغني، ويرقص فوق الزهر!  
وهمس التسيم، ولحن المطر  
وأنتى أرى العالم المنتظر؟  
وفي أفق اليقظات الكبر

ح حتى نما شوقها وانتصر  
وأبصرت الكون عذب الصور  
وأحلامه، وصباه العطر  
تعيد الشباب الذي قد غبر  
وخللت في نسلك المدخر

يجي الشتاء، شتاء الضباب  
فيطفئ السحر، سحر الغصون  
وسحر السماء، الشجي، الوديع  
وتقوي الغصون، وأوراقها  
وتلهو بها الريح في كل واد،  
ويغني الجميع كحللم بديع،  
وتبقى البذور، التي حملت  
وذكرى فصول، ورؤيا حياة،  
معانقة - وهي تحت الضباب،  
لطيف الحياة الذي لا يمل  
وحاملة بأغاني الطيور

ويمشي الزمان، فتمو صروف،  
وتصبح أحلامها يقظة،  
تسائل: أين ضباب الصباح،  
وأسراب ذاك الفراش الأنيق؟  
وأين الأشعة والكائنات؟  
ظمت إلى النور، فوق الغصون!  
ظمت إلى التبّع، بين المروج،  
ظمت إلى نغمات الطيور،  
ظمت إلى الكون! أين الوجود  
هو الكون، خلف سبات الجمود

وما هو إلا كخفق الجنا  
فصدعت الأرض من فوقها  
وجاء الربيع، بأنغامه،  
وقبلها قبلاً في الشفاه  
وقال لها: قد منحت الحياة

شباب الحياة وخصب العمر  
يباركك النور أتى ظهر  
إليك الثرى، الحالم، المزدهر!  
إليك الوجود، الرحيب، النضر!  
بحلو الثمار وعض الزهر  
وناجي النجوم، وناجي القمر  
وفتة هذا الوجود الأغر

يشب الخيال، ويُذكي الفكر  
يصرّفه ساحر مقتدر  
وضاع البخور، بخور الزهر  
بأجنحة من ضياء القمر  
سُ في هيكل، حالم، قد سحر  
لهيب الحياة، وروح الظفر  
فلا بد أن يستجيب القدر

وباركك النور، فاستقبلي  
ومن تعبد النور أحلامه،  
إليك الفضاء، إليك الضياء  
إليك الجمال الذي لا يبيد!  
فميدي - كما شئت - فوق الحقول،  
وناجي النسيم، وناجي الغيوم،  
وناجي الحياة وأشواقها،

وشفّ الدجى عن جمال عميق،  
ومدّ على الكون سحر غريب  
وضاءت شموع النجوم الوضاء،  
ورفرف روح، غريب الجمال  
ورنّ نشيد الحياة المقعد  
وأغلن في الكون: أن الطموح  
إذا طمحت للحياة النفوس